تشغيـل حرم جامعة الملـك عبدالله، دخلـت الجامعة، حتـى عشية بدء الدراسة فيها في شراكات مع كل من:

- معهد وودر هول لعلوم المحيطات
- المعهد الفرنسي للبترول
- جامعة سنغافورة الوطنية
- جامعة هونغ كونغ للعلوم والتقنية
- الجامعة الأمريكية في القاهرة
- جامعة ميونيخ التقنية
- جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
- جامعة كاليفورنيا في سان دييغو

وبموجـب أحـكام الاتفاقيات، يبـدأ البحـث العلمي فـي المؤسسة الشريكة، لينتقل لاحقاً مع الباحثين إلى حرم جامعة الملك عبدالله. وبذلـك تساعد الشـراكات الأكاديمية في بناء مراكـز الأبحاث في الجامعة، وأيضاً بناء مجمع من الباحثين ورؤساء فرق الأبحاث.

أما شراكات الأبحاث مع القطاع الخاص فتقوم على عدد من البرامج تهدف إلى تحويل الأفكار والتقنيات والمهنيين المدربين تدريباً عالياً إلى مشاريع تجارية، ومنها:

- برنامج الجامعة للتعاون مع الشركات الصناعية
- مكتب جامعة الملك عبدالله لنقل التقنية وإدارة الملكية الفكرية
- مكتب جامعة الملك عبدالله لاستثمار المشاريع
- برنامج تأسيس الأعمال التجارية

ومـن كبريـات الشـركات والمؤسسات التـي دخلت في شـراكات مع الجامعة في إطـار برامج التعاون المختلفة نذكـر: أرامكو السعودية، ومدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، ومركز أبحاث شركة جنرال إلكتريـك العالمي، وسابـك، وشركة آي بي ام، وشركـة داو كيميكال، وشلمبرجير، وبوينغ...

وفيمـا أعلنت شركـة داو كيميكال عن عزمها علـى إنشاء هيئة بحوث

أولى عائدات الجامعة من حظ القرية المضيفة ثول

عندما يخـرج الزائر من الجامعة يلحظ الاختلاف الكبير بين ما شاهده داخل الحرم الجامعي، ومحيطه على الصعيد العمراني.

فبلدة ثول الصغيرة التي كان من حسن حظها أن وقع عليها الاختيار لتكون مقراً للجامعة، كانت منذ القدم تعتمد على الزراعة التقليدية وعلى صيد الأسمـاك في اقتصادهـا المتواضع الذي ينعكس علـى طابعها العمراني ككل. أمـا اليوم، وبعدما تابع سكانها البالـغ عددهم قرابة 15 ألف نسمة بشغـف قيام هذه الجامعـة العملاقة بجوارهم، بـدأوا يتلمسون الملامح الأولى لعملية تطوير ضخمة ستنتقل بهم من حال إلى حال.

فبعد اعتماد جملـة توصيات تأخذ بالحسبان رغبـات سكان المنطقة وتلبي حاجاتهـم، من خلال دراسات أجرتها أرامكـو السعودية، وضعت خطة على مراحـل لتطوير المنطقة. وقد أوشكت المرحلـة الأولى من هذه الخطة على الانتهـاء، لتتضمن تطويراً سريعـاً شمل الكورنيش ومرفـأ الصيادين ومقر الحرس الوطني، وحرس الحدود، وبعض المرافق الترفيهية على البحر.

أما المرحلة التالية فتشمل تطوير البنية التحتية مثل الصرف الصحي وشبكة مياه الشرب والطـرق والمدارس والمساجد، وبناء مستوصف ومركز تاريخـي للإسهام في تنشيط الحركة السياحية والاقتصادية في البلدة التي يتوقع لها أن تتفاعل أكثر فأكثر مع الجامعة ومنسوبيها على المستويات السياحية والتجارية والخدماتية.

وكشـف رئيس بلدية ثول المهندس مرعي المغربي في حديث صحافي أن أمانة جدة تشجع التمدد العمراني باتجاه الشمال حيث تقع البلدة للاستفادة من المساحات الشاسعة في إقامة المشاريع التنموية والإسكانية، مشيراً إلـى قيام الأمانة بإنشـاء وحدات سكنية متكاملة الخدمـات متوافقة مع النهضة العمرانية التي تشهدها ثول بعد إنشاء الجامعة.

ومن جهته أكد أمين محافظـة جدة المهندس عادل فقيه قدرة المشروع التنمـوي على تحويل بلدة ثول إلى مركـز استثماري مهم، سينعكس أداؤه علـى مستوى حياة السـكان، ويؤدي إلى رفع مستـوى المعيشة، خاصة أن معظـم السكان يعملون في مهنة صيد الأسماك، مشيـراً إلى أن ثول التي تعـد تاريخياً مركزاً لاستراحة قوافل الحجاج سيكـون لها شأن كبير بعد الانتهاء من المشاريع التي تنفَّذ حالياً.

مشتركة مـع الجامعة بكلفة تبلغ ملايين الـدولارات على مدى سنوات عشـر، وتهـدف إلى استخدام المحفـزات لإيجاد سبـل جديدة لإنتاج المشتقـات الكيميائيـة، قال بيتـر هوفمـان، مدير البحـوث العالمية واستراتيجية التنمية في قسم البحوث والتكنولوجيا لدى شركة «بوينغ»: «إن الشركة تتطلَّع إلى الدخول في شراكة فاعلة مع أفضل الباحثين من جميـع أنحاء العالم في جامعة الملـك عبدالله للعلوم والتقنية، لإيجاد وتطويـر أفضل الحلـول التقنية لعملائنا». وجاء هـذا التصريح عقب انضمام «بوينـغ» إلى برنامج التعاون الصناعـي لتصبح بذلك عضواً مؤسساً في برنامـج التنمية الاقتصادية الذي تديره الجامعة. ويهدف برنامج الجامعة للتعاون الصناعي إلى توسعة فرص التعاون الصناعي داخـل المملكة وعلـى الصعيد الدولـي عن طريق العمل مـع الشركاء الرئيسيـن الذين يجمعهم الاهتمام بترجمة المعـارف إلى واقع عملي يحقق النمو الاقتصادي ويوجد فرص العمل.

وأخيراً، وقد لا يكون آخراً تجدر الإشارة إلى «شراكة الأبحاث العالمية» التي تقوم على برنامج تُمول بموجبه الأبحاث العالمية، ويساعد العلماء والباحثيـن فـي المؤسسات المرموقـة على التعاون لحـل المشكلات العلميـة والتقنيـة الصعبـة التـي تواجه المملكـة العربيـة السعودية والمنطقة والعالم.

وتُعتمد لهذه الشراكة ثلاث قنوات رئيسة هي:

- **مراكـز الأبحاث والمراكز قيد التطويـر:** تقدِّم جامعة الملك عبدالله منحة علـى مدى سنوات خمس لدعم المراكـز التي يعمل فيها باحثون متعـددون ومقرها الجامعات مـع إمكانية مشاركـة القطاع الصناعي. كمـا تقدِّم منح مدتها سنوات ثـلاث لمراكز جامعة الملك عبدالله قيد التطوير للمجموعات الصغيـرة التي تسعى لجمع الموارد لإنشاء مركز أبحاث لجامعة الملك عبدالله.
- **الباحثـون:** تقـدِّم جامعـة الملـك عبـدالله منحـاً على مـدى سنوات خمـس لأفـراد مـن العلمـاء أو المهندسيـن البارعيـن الواعديـن الذيـن يعملـون فـي مختبـرات مقرهـا الجامعـات المرموقـة.

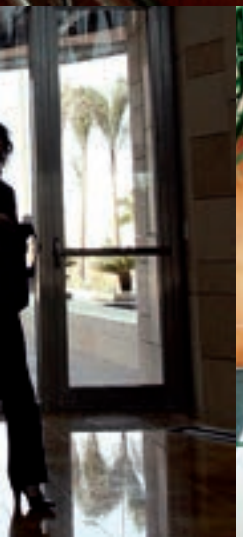

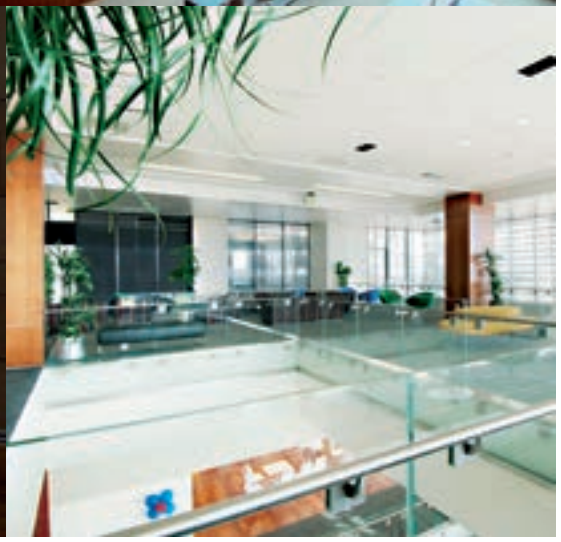

ويتوقَّـع من كل باحـث أن يقضي على الأقل ثلاثة أسابيع كل سنة في حرم جامعة الملك عبدالله مشاركاً في الأبحاث والحياة الجامعية.

- **زملاء الأبحاث:** تقدِّم جامعة الملك عبدالله دعماً على مدى سنوات ثـلاث لباحثي ما بعد الدكتوراة المتميزين. ومن المأمول أن يقضي الكثير من هؤلاء الباحثين بعض الوقت في جامعة الملك عبدالله قبل أن يبدأوا حياتهم المهنية بالانضمام إلى هيئة التدريس فيها.

ومـن دون أن نزعـم أننا أشبعنـا الحديث عن الشـراكات وما سبقها من موضوعـات أكاديمية وتقنية، فنخرج من المكاتب الإدارية وأروقة المباني إلى الحي السكني، حيث الكثير من الضوء والأشجار والأزهار والبيوت الجميلة.

الحـي الـسـكـنـي **يمـيم** مـدينـة مـتـكـامـلـة

عند سفح التـل الذي يقوم عليه المبنى المركـزي الخاص بالتدريس والمختبرات والإدارة، يلتف الحي السكني مثل الحزام، ووصفه بأمانة يفرض القول إنه مدينة جامعية متكاملة.

فالجامعـة توفِّـر لمنسوبيهـا وأعضـاء هيئـة التدريـس والموظفين والمستحقيـن من الطلاب مساكـن ومرافق خدميـة وترفيهية راقية لمجتمـع متعدد الثقافات. وتتوزع أنماط هذه المساكن ما بين الفيلا، والمسكـن المستقل والبيت من طراز تاون هاوس، والشقة. أما الأجور فهي رمزية.

وكل هذه المساكن مفروشة ومجهَّزة بالأجهزة الإلكترونية والكهربائية وكل المستلزمات الضروريـة. وتشمل الخدمات التي توفِّرها الجامعة للحـي السكني: تدويـر القمامـة، وخدمـة الهاتف المحلـي، وخدمة الصيانة المستمرة للبيوت.

وكمـا هـو الحـال في الحـرم الجامعـي كله، فـإن المساكـن مجهَّزة للاستخدامـات اللاسلكية وتحتـوي على وصلات لاستقبـال الإرسال التلفزيوني عبر الأقمار الصناعية من دون مقابل.

وتتوزع المجمعات السكنية على ثلاث مناطق هي: منطقة ملعب الغولف السكنية، ومنطقة الميناء السكنية، ومنطقة جزيرة الصفا السكنية على امتداد شاطئ البحر الأحمر. ولكل منطقة منها مميزاتها الخاصة، وبها نوادٍ للياقـة البدنية، ومراكز لرعاية الأطفـال، ومراكز للتسوق ووسائل للنقل العام.

مدارس العلم في الصغر

وتنبَّه مشروع إنشاء الجامعة الحاجة إلى مدارس لأبناء الموظفين والأساتذة. فتقرر تنفيذ برنامج مدارس الملك عبدالله الدولية

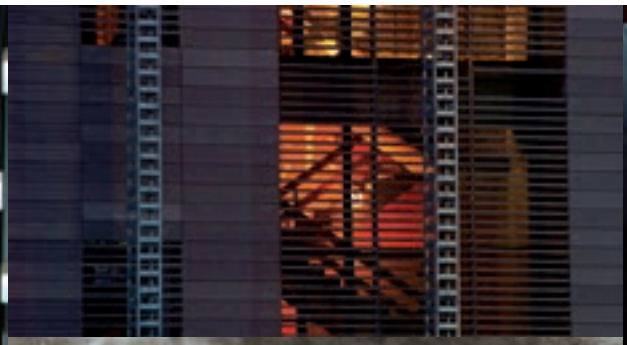
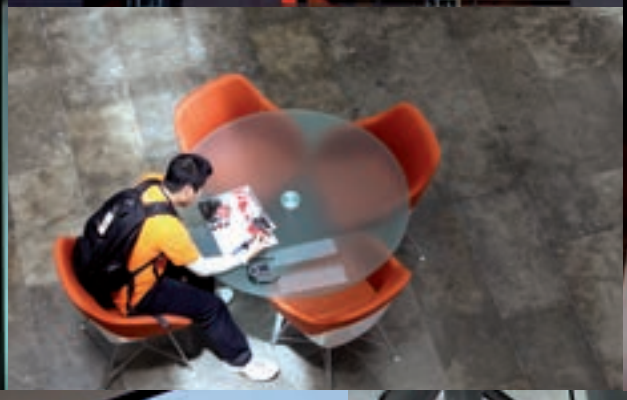

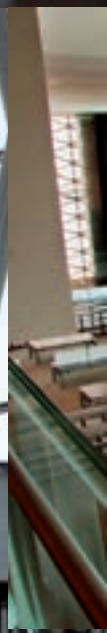

عبدالرحمن الفتوخ و سعودي أوجيه

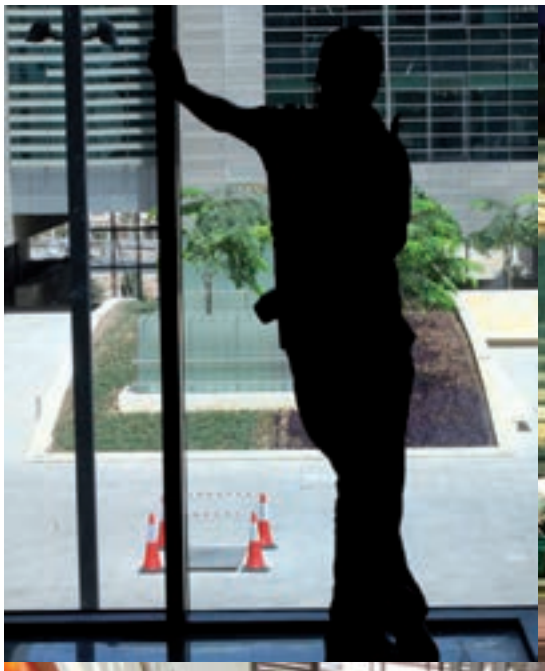

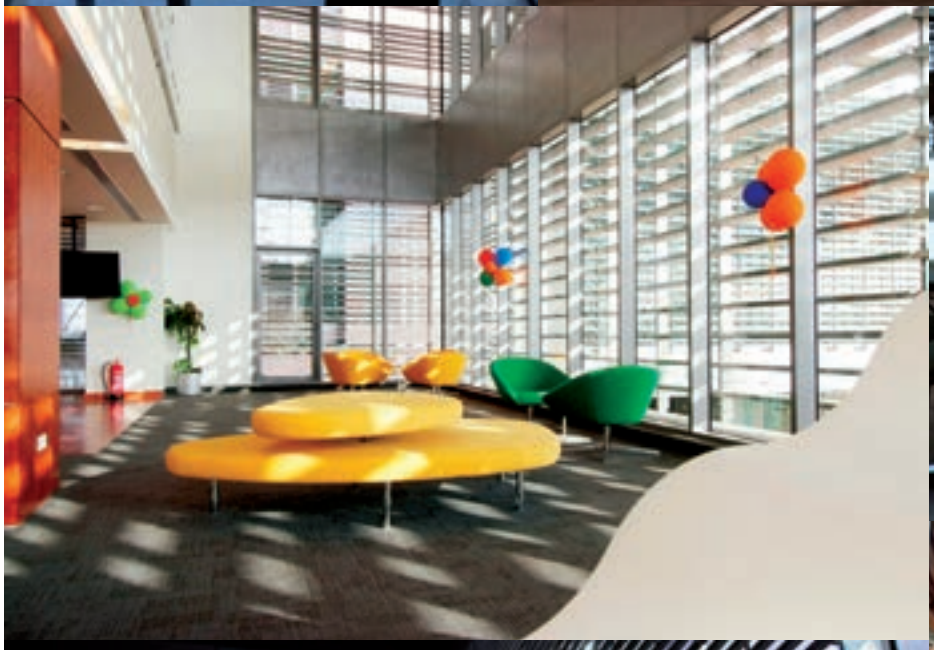

التعليمي، الذي يقضي بإنشاء ثلاث مدارس لمراحل الدراسة من المرحلة التمهيدية إلى المرحلة الثانوية. وهذه المدارس الثلاث هي: المدرسة الدولية، ومدرسة البنين، ومدرسة البنات.

وتنفِّذ الجامعة هذا المشروع بالشراكة مع «مؤسسة خدمات المدارس الدولية» التي عملت مع أكثر من 300 مدرسة دولية، وتتمتع بسمعة عالية بالتفوق في مجال التعليم. ولا تتضح صورة تكامل هذه المدينة الجامعية إلا من خلال جولة عبر أرجائها.. ففي منطقة تتوسط المدينة الجامعية تطالعك مآذن جامع الملك عبدالله الذي اختير موقعه بعناية ليسهل الوصول إليه من كافة أرجاء الجامعة.

ويتمتع هذا المسجد بتصميم أنيق مستوحى من العمارة الإسلامية التقليدية، ويتسع لأكثر من 1500 مصلٍ في الداخل وما يزيد على الألف في باحته الخارجية.

وفي مكان لا يبعد كثيراً عن المسجد، يطالعك فرع لمصرف، وقبالته مستوصف، ومركز الإطفاء، ومحطة الوقود وغير ذلك من مستلزمات الحياة في المدينة.. أية مدينة..

ولأن المثل الإنجليزي يقول: «العمل طوال الوقت من دون لعب يجعل جاك ولداً حزيناً»، حرص مشروع الجامعة على توافر مرافق ترفيهية للمقيمين في المدينة الجامعية تتراوح بين ميادين الرياضة واللياقة البدنية وصولاً إلى المرح والتسلية. وتشمل هذه المرافق:

- 3 برك سباحة كاملة التجهيز
- جدران لهواة تسلق الصخور
- طاولات بلياردو وسنوكر
- ملاعب سكواش
- ملاعب كرة مضرب وبادمنتون
- مجمع بولنغ، 24 حارة
- ملاعب كرة قدم
- ملاعب بيسبول ومضامير ألعاب قوى
- قاعات تدريب لياقة ورفع أثقال بإشراف مختصين
- ملاعب تنس
- ملاعب كرة سلة
- ملعب غولف عشبي بمواصفات عالمية، 9 حفر
- مارينا بحرية مزوَّدة بمرافق كاملة لليخوت والمراكب الشراعية

وإضافة إلى كل ما تقدَّم، هناك برامج عديدة للياقة الصحية، تهدف إلى تلبية الاهتمامات والأهداف الفردية والخاصة.

الرئيس الأول للجامعة

هو البروفيسور تشون فون شي، الحاصل على درجة الدكتوراة من جامعة هارفارد، وعمل سابقاً رئيساً لجامعة سنغافورة الوطنية. كما كان على مدى ثلاثين سنة أستاذاً في جامعة براون بالولايات المتحدة الأمريكية، وترأس مجموعة أبحاث التصدع في مختبر أبحاث شركة جنرال إلكتريك.

وكان البروفيسور تشي أول سنغافوري ينتخب عضواً مشاركاً أجنبياً في الأكاديمية الوطنية الأمريكية للهندسة، كما أنه عضو فخري في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم.

ومن خبراته العملية الأخرى نذكر عضويته في مجلس إدارة مؤسسة الأبحاث الوطنية التي يرأسها نائب رئيس الوزراء سابقاً توني تان، وعضويته في مؤسسة سنغافورة الدولية، ورئاسته لمجلس الإشراف على تحالف جامعة سنغافورة ومعهد ماساتشوستس للتقنية، وإسهامه في تشكيل التحالف الدولي لجامعات الأبحاث، الذي يضم عشر جامعات من جامعات الأبحاث الكبرى في أربع قارات.

وقد حاز البروفيسور تشي على وسام جوقة الشرف الفرنسية من رتبة فارس، وكان أول آسيوي يتلقى جائزة القيادة التي يمنحها «مجلس تطوير ودعم التعليم» لكبار المسؤولين التنفيذيين، وهو منظمة عالمية يشترك في عضويتها أكثر من ألفي مؤسسة تعليمية.

متحف الجامعة لتاريخ العلوم والتقنية الإسلامية

لوهلة، تبدو فكرة وجود متحف في جامعة كل ما فيها يتطلع إلى الأمام وإلى المستقبل، فكرة مثيرة للاستغراب بعض الشيء. ولكن التأمل في هذه الفكرة يؤكد جدوى المشروع، لا بل يكتشف فيما يتوخى منه فوائد لا تحصى، خاصة للرؤية التي صيغ هذا المتحف وفقها، والتي لا تشبه في شيء، كما هو حال الجامعة التي تحتضنه، الصورة النمطية التي نملكها عن المتاحف.

حول هذا المتحف، أدلى نائب الرئيس التنفيذي في الجامعة، نظمي النصر، ونائب الرئيس المكلَّف للتنمية الاقتصادية، أحمد الخويطر، بحديث صحافي شرحا فيه الغاية من إنشاء المتحف وأبرز ملامحه وأهدافه.

قال النصر إن فكرة المتحف انبثقت حين شرعت الجامعة في إنشاء مركز لدراسة مخترعات المسلمين، على غرار بيت الحكمة الذي أنشأه الخليفة العباسي المأمون، حيث يشارك علماء من مختلف أنحاء العالم في إجراء البحوث والترجمة لتحقيق هذا الغرض. لكن الرأي استقر أخيراً على إقامة متحف لمكتشفات واختراعات العلماء المسلمين تحت اسم «متحف تاريخ العلوم والتقنية الإسلامية» يغطي المرحلة التي شهدت ازدهار العلوم، بدءاً من القرن الرابع وحتى القرن السابع ومروراً بما أنتجته الحضارة الإسلامية في الأندلس، ومن ثم ربط المتحف بمكتبة الجامعة الإلكترونية، بحيث يمكن للباحثين الاستفادة من محتوياته من كتب ومخطوطات.

متحف ذو رسالتين

حول الغاية الأساس من إنشاء المتحف ورسالته، يقول الخويطر: «هناك رسالتان للمتحف، الرسالة الأولى هي بث المعرفة فيما يتعلق باختصاصات علماء المسلمين. فالعالِم كان طبيباً وعالم فلك ومفكراً.. وكل هذه المعارف كانت تنعكس على مخترعاته. وفي العقود الأخيرة كانت العلوم تركز على التخصصات الدقيقة، ولكن هذا التركيز بات خاضعاً للمراجعة، وهناك عودة إلى توسعة المعارف عند الطلبة والباحثين، وإيلاء اهتمام متزايد لترابط العلوم. لهذا يشكل متحفنا رسالة قوية إلى طلبة الجامعة. أما الرسالة الثانية فهي جذب الجمهور من طلبة المدارس والمعاهد والجامعات والباحثين والمجتمعات التعليمية للتعريف بمعروضات المتحف ومحتوياته التعليمية والتثقيفية من مجسمات ومخطوطات وأفلام حول مخترعات العلماء المسلمين وتاريخها».

ويضيف: «ليس في سياسة المتحف تملُّك القطع الأثرية.. فامتلاك القطع مكلف جداً، ويمكن الاستفادة من هذه الكلفة في مرافق أخرى. لقد سخرنا التقنية المتطورة لخدمة المجتمع تعليمياً وترفيهياً، لأن العالم بات ينتظر كل جديد، ويستمتع بالتكنولوجيا المتقدمة لخدمة كافة الأغراض الحياتية.. إن زائر هذا المتحف سيتمكن من رؤية مخترعات علماء ومخترعين ملأوا السمع ولم تبصرهم العين».

أقسام المتحف ومحتوياته..

إلكترونية وسمعية بصرية

يضم المتحف عدداً من الأقسام، منها المدخل والمخرج حيث يتعرف الزائر إلى المحتوى والمعروضات، وقسم علوم الحياة والبيئة وعلوم الجبر والرياضيات وقسم معهد التعليم والدراسات وقسم علم الفلك والملاحة وقسم التكنولوجيا والكيمياء وعلوم الطاقة والصناعة.

وتضم محتويات المتحف مجسمات طبق الأصل لمخترعات علماء مسلمين ومخطوطات بالإضافة إلى كتب وأفلام علمية ووثائقية أنتجت خصيصاً للمتحف.

ويضم المتحف ثلاثة أبراج طول كل منها حوالي ستة أمتار، تعرض أفلاماً تعليمية ووثائقية قصيرة أنتجت سينمائياً خصيصاً للمتحف. وفي هذه الأبراج، يمكن للزوار تصفح أي موضوع عن أي من العلماء المسلمين وإنجازاتهم خلال عشرين دقيقة. وحينما يكون الزائر يقرأ أو يستمع للمعلومات، سيشاهد محاكاة بصرية ثلاثية الأبعاد، تساعده على الاستيعاب والفهم. كما أن هناك عدداً كبيراً من الكتب بمختلف اللغات يمكن قراءتها والاطلاع عليها بالمحاكاة البصرية.

ويرى الخويطر أن هناك فوائد جمة لا تحصى لهذا النوع المبتكر في عالم القراءة. فبواسطة التقنية تظهر أساليب جديدة للتعلم يمكن للمدارس والجامعات أن تستفيد منها كثيراً.

تسع ساعات لزيارة المتحف!

ويقول النصر إن المتحف يحتوي على كم هائل من الأوعية المعلوماتية التي تغطي الجانبين العلمي والتاريخي. فهناك مثلاً معلومات ضخمة عن البيولوجيا والطبيعة وعلوم الحيوان والجغرافيا والفلك والحياة والهندسة

المعمارية، بحيث يحتاج زائر المتحف إلى تسع ساعات متواصلة للاطلاع على كافة محتوياته. ويضيف: إن الزائر يتمكن من رؤية كل هذه المعلومات إما عبر الصور، أو من خلال المحاكاة البصرية للمكتشفات والعلماء المسلمين أنفسهم، من خلال شاشات تعمل باللمس.. وسيشاهد مثلاً مؤسس علم الميكانيكا وأول من ابتكر إنساناً آلياً وهو العالم المسلم الجزري، كما سيشاهد الكثير من مجسمات أعمال المخترعين المسلمين وطريقة عملها مثل الاسطرلاب وغيره الكثير.

لنا، قبل أن يكون للأجانب

مما لا شك فيه أن هذا المتحف سيلعب دوراً كبيراً في تنوير الطلاب الأجانب في الجامعة (وربما بعض أساتذتهم أيضاً)، من خلال اطلاعهم على منجزات الحضارة العربية الإسلامية في عصرها الذهبي والدور العظيم الذي أدته في تطور الإنسانية. ولكن بشيء من الصدق مع الذات، لا بد أن نعترف أننا نحن أبناء هذه الحضارة وَوَرَثَتُها نجهل الكثير عن هذه المنجزات، وتكتنف صورها في أذهاننا ضبابية تبقيها في إطار العموميات.

وعليه سيلعب هذا المتحف دوراً كبيراً في توضيح الصورة المشرقة لتاريخ العلوم عند العرب بكل زخارفها الدقيقة. ولكي يتمكن متحف الجامعة من لعب دوره على هذا الصعيد، رُسمت له سياسة تختلف تماماً عن سياسة المتاحف التقليدية.

متحف يستقبل الجمهور ويزوره

فقد جرت العادة أن يزور الناس المتاحف. أما متحف الجامعة، فقد قرر زيارة الناس الذين تتعذر عليهم زيارته، وحيث هم.

وفي هذا الشأن يقول الخويطر: «إن الهدف من إنشاء المتحف هو بث الوعي في فضاءات المجتمع، واطلاع الأجيال على إنجازات المسلمين. لذلك قررنا الذهاب إلى الناس في أماكن تجمعاتهم، حيث سنعرض بعض محتويات المتحف بالمستويات نفسها في الأسواق الكبرى، وسنزور المدارس وننظّم الرحلات للطلبة والطالبات إلى المتحف، وسنشارك في المناسبات العامة والاحتفالات التراثية والتاريخية، وسيكون لنا أيضاً دور في تقديم تاريخنا العلمي إلى العالم من خلال المشاركات الدولية».

عبدالرحمن الفتوح

عبدالرحمن المشوخ

ختاماً

الغد الذي بدأ اليوم

في مطلع سبتمبر من العام 2009م، كانت الحياة قد دبت فيما كان حلماً ومن ثم مشروعاً. طلاب وأساتذة من عشرات الجنسيات وآلاف الموظفين في المكاتب والمختبرات والأروقة يملأون المكان حياة ينتظر منها الكثير.. ومع ذلك فإن اكتمال الجامعة لن يتم قبل العام 2020م حسبما سبق لرئيسها أن أعلن، بحيث يصل عدد الطلاب إلى نحو 2000 طالب، وعدد الأساتذة إلى نحو 225 أستاذاً.

الله وحده يعلم ما يخبئه الغد، من تحولات وتطورات، و من نتائج أبحاث.

ما نعرفه اليوم، هو أن أضخم مشروع علمي وتعليمي في تاريخ العرب والمسلمين، منذ «بيت الحكمة»، قد أصبح واقعاً ملموساً. وكل شبر في شخصيته المادية والمعنوية صيغ صياغة بالغة الدقة على أيدي أكبر علماء عصرنا.. وليس بإمكان أي عاقل أن يتصور ما هو أفضل مما كان.

وفي انتظار الغد، وما سيخرج من ثنايا جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية، ليطوِّر حياتنا اليومية واقتصادنا في المملكة وبلاد العرب والمسلمين والعالم، تصبح ابتسامة الرضا عن واقعنا العلمي من حقنا، والتفاؤل بالمستقبل مبرراً، وربما للمرة الأولى في تاريخ العرب والمسلمين المعاصر.

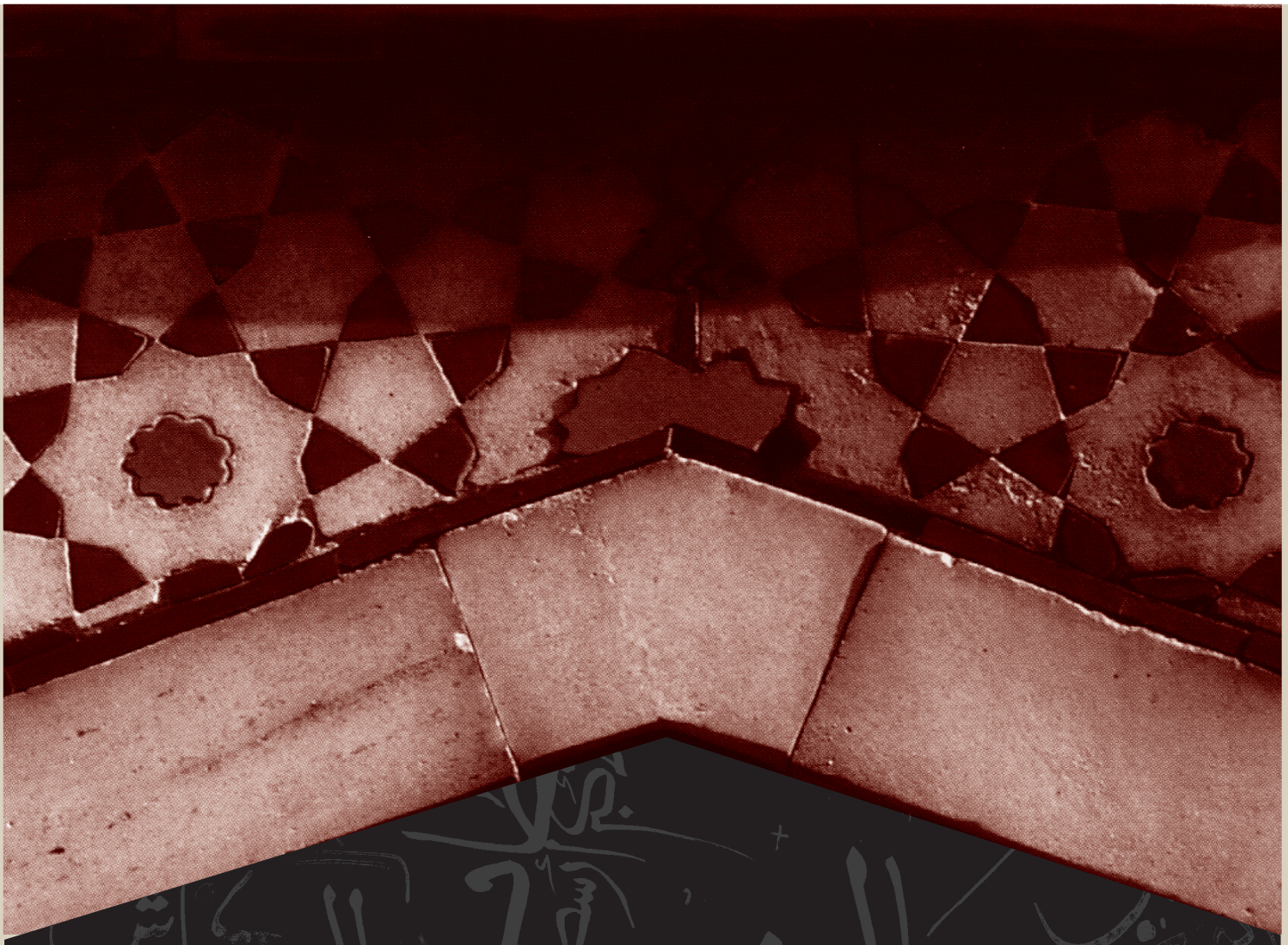

بيت الحكمة
الذي به تجوز المقارنة

ما هو «بيت الحكمة» الذي أراده خادم الحرمين الشريفين، الملك عبدالله بن عبدالعزيز، أن يكون ملهمه في إنشاء هذا الصرح العلمي؟

إن تعبير «بيت الحكمة» مألوف عند كل من درس التاريخ العربي والإسلامي، وبشكل خاص تاريخ العلوم عند العرب. ومع ذلك، فإن المعلومات الدقيقة حول حقيقة بيت الحكمة والأدوار المختلفة التي لعبها، تكاد تكون مجهولة تماماً من قبل الكثيرين، وذلك لقلة الدراسات العلمية التي تناولت بيت الحكمة بحد ذاته.

واحدة من هذه الدراسات القليلة، هي تلك التي أعدتها الباحثة الفرنسية م. ج. بالتي-غيدسون، وقدَّمتها في «الندوة العالمية لتاريخ العلوم والفلسفة عند العرب» التي عقدت في معهد العالم العربي في باريس بين ٢٢ و٢٤ نوفمبر من العام ١٩٨٩م، وشكَّلت لنا مُعيناً على رسم الصورة الآتية لأشهر صرح علمي في التاريخ العربي والإسلامي، شعَّ تأثيره حتى ليقال إنه غيَّر مجرى التاريخ.

في عصر الرشيد

استناداً إلى المصادر والمراجع العربية القديمة، عُرف «بيت الحكمة» أولاً بأسماء عديدة منها: «خزانة الحكمة» و«خزانة كتب الحكمة»، لأن هذا الصرح كان أولاً مكتبة.

وقد أعطيت هذه المكتبة اسم «بيت الحكمة» في عهد الخليفة هارون الرشيد، عندما اكتسبت العلوم الفلسفية أهمية متزايدة. واستناداً إلى كتاب «الفهرست» لابن النديم، فإن حركة الترجمة بدأت تنشط منذ تلك الفترة، إذ يورد ذكر شخصين: الأول هو علَّان الشعوبي الذي كان يعمل ناسخاً في بيت الحكمة لحساب الخليفة هارون الرشيد ومن ثم المأمون والبرامكة، والثاني هو عالم الفلك الفضل ابن نوبخت الذي كان يترجم لهارون الرشيد كتباً عن اللغة الفارسية.

ويروي لنا القفطي أن يحيى بن خالد بن برمك، لم تعجبه بعض الأفكار الواردة في أحد الكتب الأعجمية، فطلب ترجمته على يد أبو حسن وسَلْم الحراني صاحب بيت الحكمة.. وأيضاً لحساب يحيى ابن خالد نفسه، ترجم سَلْم الحراني كتب أرسطو عن اليونانية.

ففي عهد هارون الرشيد، يبدو أن «بيت الحكمة» كان مكتبة شبه خاصة بالخليفة وبالمقربين منه، يؤتى على ذكرهم في كل مرة يدور الحديث عن المستفيدين من الأعمال الجارية في المكتبة. ولكن الحال تبدل جذرياً في عهد المأمون.

صرح علمي للجميع

عرف بيت الحكمة في عهد المأمون توسعاً وتطوراً تمثل أساساً في تحوله إلى ملتقى للعلماء الذين استخدموا هذا

الصرح لأبحاثهم ودراساتهم. وهذا ما دفع بعض الباحثين والمؤرخين إلى ربط إنشاء «بيت الحكمة» بهذا الخليفة دون غيره، وتحديد تاريخ إنشائه بالعام ٨٣٠ أو ٨٣٢م. وقد ظهر هذا التاريخ أولاً عند المستشرق ماكس مايرهوف في المقدمة التي كتبها لمؤلف حُنين «عشر دراسات حول العين». والذين يزعمون أن بيت الحكمة تأسس في عهد المأمون، لا يعتمدون على أكثر من مقاطع تروي سياسة الترجمة في عهد المأمون أو مساعيه الشهيرة إلى اقتناء المؤلفات اليونانية القديمة، أو استقرار بنوموسى مع يحيى ابن منصور في بيت الحكمة، أو تسمية حُنين مترجماً وما شابه ذلك. ولكننا بتنا متأكدين اليوم أن «بيت الحكمة» في عهد المأمون هو نفسه بيت الحكمة في عصر هارون الرشيد، غير أن الرؤية الموجهة له تغيرت تماماً.

البيت الذي أضاء مشعل العلوم

اشتهر المأمون بولعه الشديد بالكتاب. وسعى طوال فترة حكمه إلى جمع كل المؤلفات المهمة أياً كان موضعها. فكان يرسل السعاة والسفراء لهذه الغاية. والروايات في هذا الصدد أكثر من أن تحصى. فابن النديم يروي قصة بعثة أوفدها الخليفة المأمون إلى بيزنطة للحصول على الكتب. والمقريزي يحدِّد تاريخ هذه البعثة بالعام ٢١٠هـ / ٨١٥م. وفي رواية ثانية منسوبة إلى المترجم يحيى ابن البطريق أنه عثر في معبد قديم على نسخة قديمة من كتاب «السياسة» لأرسطو، فأمر الخليفة بإحضارها إلى بغداد.

ويحدثنا سعيد الأندلسي عن تبادل للهدايا ما بين المأمون وامبراطور الروم حصل بموجبه الخليفة على نسخ من كتب أفلاطون، أرسطو، أبوقراط، إقليدس، وبطليموس.

وبموازاة هذه المصادر الخارجية، كانت هناك مصادر داخلية عديدة للكتب التي جمعها المأمون: من حلب ودمشق وفلسطين والجزيرة العربية والإسكندرية. ويروي حنين في «الرسالة» طرق الحصول على بعض أمهات الكتب من المكتبات الكثيرة التي كانت منتشرة في الديار الإسلامية، وغِنى هذه المكتبات المتفرقة بالمؤلفات اليونانية النادرة.

ولكن، إذا كانت الديار الإسلامية قد شكَّلت بالفعل المصدر الرئيس لتجمع الكتب في «بيت الحكمة»، فلماذا كان هذا الجهد المبذول لاستيراد بعضها من بيزنطية، ولماذا حظيت هذه الأخيرة بهذه الشهرة؟

الجواب هو بكل بساطة أن المأمون أراد أن ينظر العالم إلى الحضارة العربية الإسلامية على أنها حاملة مشعل العلوم الذي هوى في الإمبراطورية البيزنطية منذ عهد الإمبراطور قسطنطين الكبير في القرن الميلادي الرابع. وكان «بيت الحكمة» في بغداد سلاحه الأكبر في تحقيق هذا الطموح.

بيت العلم لكل من يطلب العلم

يرتبط اسم بيت الحكمة أكثر ما يرتبط بالترجمة. ولكن هل كانت كل أعمال الترجمة تتم فيه ولحساب الخليفة فقط كما تزعم بعض الكتب المدرسية؟

يؤكد البحث المدقَّق أن الكثير من أعمال الترجمة كانت تُطلب من بيت الحكمة لصالح جهات مختلفة، شملت بعض رجالات الدولة مثل يحيى بن خالد ابن برمك، وطاهر بن الحسين، وإسحق بن سليمان، وبعض

العلمـاء مثل الطبري، وبنو موسى، والكندي، وأيضاً بعض المثقفين من رعاة الحيـاة الأدبية مثل علي بن يحيى ابن أبي منصور.

فالحركة العلمية التي أزهرت في بيت الحكمة كانت تقوم على قاعدة اجتماعية وعلمية أعرض من أسوار هذا البيت. فبخلاف ما كان عليه الحال في أيام هارون الرشيد، شرع بيت الحكمة في عهد المأمون أبوابه أمام كل طالبي العلم والبحث.

والمؤكـد أن الترجمـة لـم تكن حكـراً علـى موظفي بيت الحكمـة داخل أسـواره، بـل إن مترجمين كثيريـن كانوا يعملـون خارجه، حتى إن البعـض يذهب إلى حد القول إن كبـار مترجمي القرنيـن التاسع والعاشـر الميلاديين لم

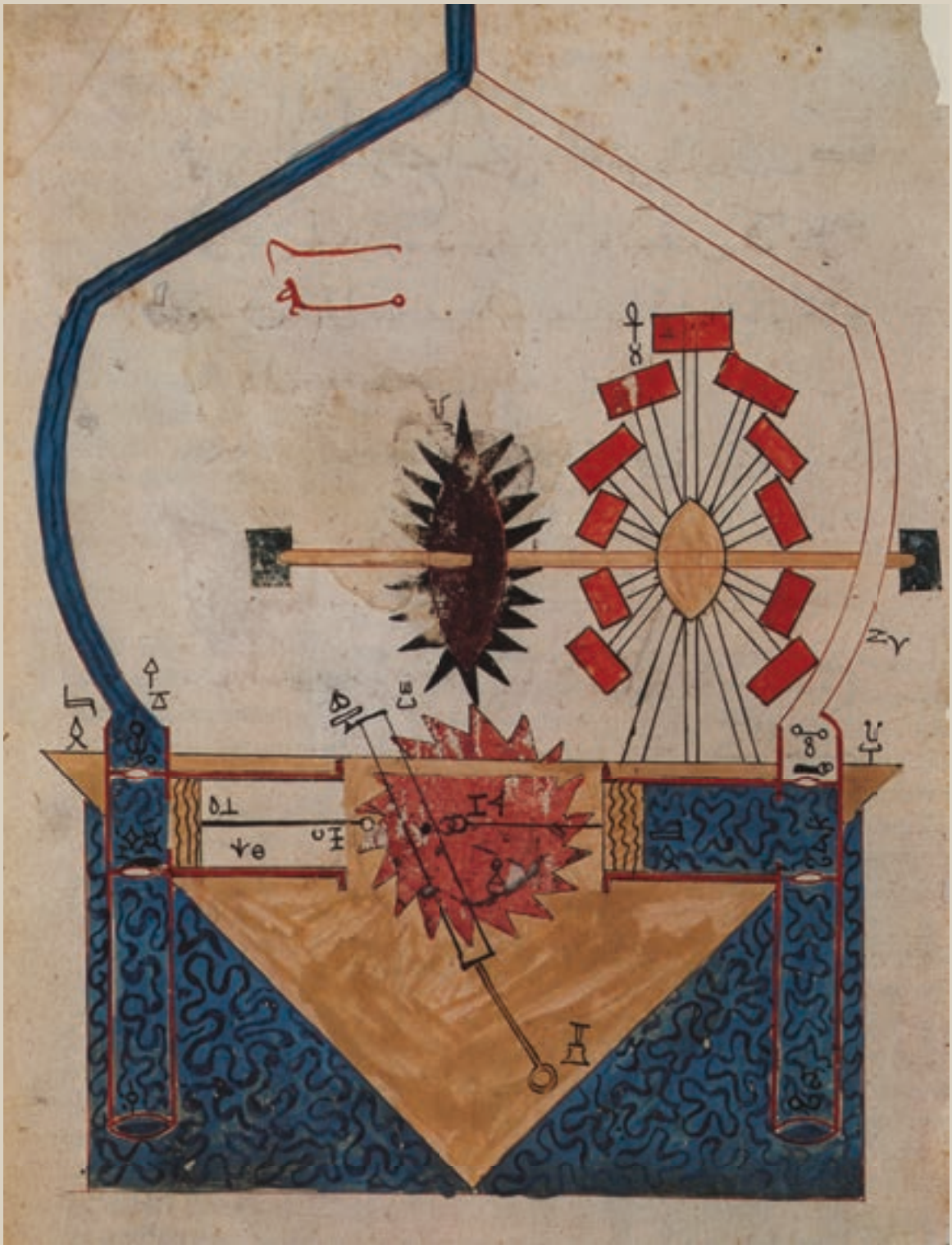

تثبت المراجع وجود أية علاقة ما بينهم وبين بيت الحكمة. علماً بأن الخلفاء أبقوا على إشرافهم المباشر على أعمال الترجمة ومسارها في هذه المؤسسة.

وفي إطار هذا الإشراف، عيَّن الخليفة المتوكل حُنين ابن إسحق «أميناً على الترجمة»، ليتولى تصحيح ترجمات الآخرين. ولكن أهمية الترجمة في بيت الحكمة تكمن في الدرجة الأولى في كونها منطلقاً لظاهرة رائدة لم يكن العلم قد عرفها.

ففي عهد المأمون تحوَّل بيت الحكمة إلى مكان لاجتماعات العلماء والمناقشات. وفي كتابه «نوادر الفلاسفة» يستخدم حنين تعبير «بيوت الحكمة» لتسمية أماكن اجتماع الفلاسفة، حتى إن فصلاً من كتابه هذا حمل العنوان «اجتماعات الفلاسفة في بيوت الحكمة في الأعياد وتفاوت الحكمة بينهم».

هذه الوظيفة لبيت الحكمة، والتي ميَّزته خلال عهد المأمون، قامت على فلسفة تقول بوجوب انفتاح ما في داخل المؤسسة على ما في خارجها، وبتوقع الكثير من النتائج الناجمة عن تفاعل العلماء والفلاسفة مع بعضهم. إنها الفلسفة ذاتها التي نجدها معصرنة وواضحة في جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية.

مدرسة.. غير مدرسة

ويذهب بعض الباحثين إلى تصنيف بيت الحكمة كمعهد أو كمدرسة، وينفي هذه الصفة باحثون آخرون.

فلأن ابن العبري يروي لنا أن أبناء موسى بن شاكر الثلاثة درسوا العلوم مع يحيى بن منصور في بيت الحكمة، اعتبر هذا الصرح كمركز تعليمي، حتى ذهب البعض إلى اعتباره كلية جامعية مع عميد هو سَلْم وأمين مكتبة هو محمد بن موسى الخوارزمي.

كما يستند البعض الآخر إلى أن حُنين بن إسحق يقول إن «بيت الحكمة» هو الاسم الذي أطلق منذ عصر اليونان القديمة على المكان الذي يتلقى فيه أولاد الملوك علومهم. ولكن علماء آخرين يقولون إنهم لم يعثروا على ما يؤكد أن طلاباً درسوا في بيت الحكمة غير الأولاد الثلاثة المذكورين سابقاً.

وبشيء من الجهد للتوفيق بين النظريتين يأخذ فريق ثالث بشتى الحجج ليخلص إلى أن بيت الحكمة كان مركزاً للبحث العلمي وإن خرج في ذلك على نمط التعليم الذي كان سائداً في ذلك العصر. حيث كان المعلمون ينشرون علومهم بين تلاميذهم انطلاقاً من بيوتهم الخاصة. في بيت الحكمة، تركزت الترجمة والبحوث بشكل خاص على ثلاثة علوم هي: الرياضيات وعلم الفلك والفلسفة. وبصفته مركزاً للبحث العلمي، تم إلحاق مرصدين فلكيين أحدهما في شمالي بغداد، والآخر في جبل قاسيون قرب دمشق ببيت الحكمة.

ومن خضم النقاش الفلسفي فيه خرجت عشرات بل مئات المؤلفات. وفي مجال الرياضيات، كان الخوارزمي واحداً من روَّاد بيت الحكمة، وهو صاحب المؤلفات العديدة في علم الفلك والجغرافيا والرياضيات، ومن الروَّاد في ابتكار الاسطرلاب وتطويره، دخل تاريخ العلوم بفضل كتابه الشهير «كتاب الجبر والمقابلة» الذي جعل منه مؤسساً لعلم الجبر.

وعلى أيدي عشرات العلماء المماثلين صيغت العلوم والمعارف في حلة جديدة وصلت خلال سنوات إلى مستويات لم تكن الإنسانية قد عرفتها من قبل، فعرفت الحضارة العربية والإسلامية عصرها الذهبي، ومهَّدت لاحقاً لنهضة شعوب بأكملها، وما النهضة الأوروبية في القرن الخامس عشر إلا واحدة منها.

نهاية بيت الحكمة

يختلف المؤرخون في تحديد زمن اندثار بيت الحكمة. فاستناداً إلى المستشرق سورديل، اختفى هذا الصرح في عهد المتوكل. وبالنسبة إلى المستشرقين م. مايرهوف و أو. ليري، أعاد المتوكل فتح بيت الحكمة. ويؤكد آخرون أن بيت الحكمة دمِّر خلال الغزو المغولي لبغداد في العام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م، مستندين إلى القلقشندي الذي تحدث عن «حرق مكتبة العباسيين».

والمؤكد أن بيت الحكمة كان قائماً حتى القرن العاشر استناداً إلى شهادات من ذلك العصر. وفي القرن العاشر لم يعد يشار إليه باسم بيت الحكمة، بل باسم «خزانة المأمون» كما يقول ابن النديم الذي يروي أنه تردد عليه عدة مرات.

وإطلاق هذا الاسم الجديد يشير إلى أن بيت الحكمة صار منفصلاً عن مكتبة الخليفة، وأنه تحوَّل إلى مجرد مكتبة تحمل اسم الخليفة الذي عرفت في عهده أوج ازدهارها. ولو عدنا إلى ابن النديم وحاولنا استخلاص شيء حول ما آل إليه بيت الحكمة كما عرفه هو، لبدا لنا مجرد مستودع كتب.

كاوست في طلب العلم

أليس تأسيس جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية (كاوست KAUST) ضرباً آخر من ضروب «اطلب العلم، ولو في الصين»؟

أليست هذه الجامعة التي نبتت كشجرة مباركة بين عشية وضحاها على شاطئ «ثول» شمال جدة، هي الإقدام على المستحيل في طلب العلم؟

اطلب العلم، مهما كلَّف من العناء والجهد ومن مواجهة الصعاب والتحديات. اطلب العلم مهما كان الثمن، ومهما تطلَّب تجاوزاً للمعتاد والمتوافر السهل.

اطلب العلم، ولو استدعى ذلك الانتشار في أصقاع الأرض بحثاً عن العلماء والباحثين.

اطلب العلم، وليس من أجل العلم فقط بل لأن لديك أهدافاً وحاجات واختيارات. وفي طلب العلم نكتسب ونكسب، ونحقق ما يفي ويفيد لليوم وللغد، وخاصة الغد! وإذا كانت الصين رمزاً للمكان القصي البعيد المنال الذي يستحق العلم أن يُطلب ولو كان فيها، فها نحن قد ذهبنا إلى الصين، وحملناها إلى شاطئنا.

وليست «صيناً» واحدة، بل كل صين فيها عالم تجاوب مع نداء طلب العلم، وشعر بأن هناك أمة لديها رغبة صادقة في الالتحاق بالعصر والإسهام في تقدم الإنسانية، عبر خلق بيئة متفاعلة للبحث والدراسة والتأمل والابتكار.

اطلب العلم في كاوست.